

الحجاج البلاغي عند برلمان وبيتكا، المفاهيم والأسس.

الباحثة: أحلام بن بناجي.

إشراف: الدكتور الحواس مسعودي.

جامعة الجزائر "2" أبو القاسم سعد الله.

ملخص:

لقد حاولنا في مقالنا هذا عرض قضية الحجاج الخطابي/ البلاغي وفق تصور (برلمان وبيتكا) من خلال مصنفهما في البلاغة الجديدة بعده الكتاب الذي أسس لهذا الاتجاه الجديد. والملاحظ أنّ الباحثين حاولوا أن يتلمسوا الطرق التي يمكن أن يتبعها المتكلم في بناء خطاب حجاجي، وكذا الأبعاد الحجاجية الممكنة التي من شأنها أن تبني قيمة حجاجية من خلال مكونات/ عناصر التخاطب (المتكلم، المتلقي، العلاقة بينهما، ... إلخ) دون التركيز في بحثهما على القيم الحجاجية الكامنة في بنية الخطاب، وهي المسألة التي التفت إليها البحث التداولي عموماً والحجاجي خصوصاً منذ سبعينيات القرن الماضي.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، الحجاج البلاغي، التقنيات الحجاجية.

Résumé

Nous avons tenté dans cet article d'exposer une argumentation discursive selon la perspective (Chaim Perelman et Olberchts Tyteca) à travers leur classification dans le nouveau discours en étant le livre qui a institué ce nouveau courant.

Il est à noter que les investigateurs ont cherché à établir les façons que les orateurs dans la construction d'un discours argumentatif,; ainsi que les dimensions argumentatives capables bâtir une valeur argumentative à travers les composants d'un discours sans se focaliser sur leur recherches des valeurs argumentative qu'on trouve dans la structure du discours., c'est la question qui a été traitée par la recherche pragmatique en général et argumentative en particulier depuis les années 70s du siècle dernier.

Mots-clés: L'argumentation, argumentation discursif, Les techniques argumentatives.

عرف مبحث الحجاج تطوّراً بارزاً في الدّراسات اللّغوية والفلسفيّة خلال النّصف الثاني من القرن العشرين، بعدما كان الاعتقاد سائداً أنّ عصر الخطابة قد انتهى إلى غير رجعة. وامتدّ هذا الوضع إلى عصر النّهضة بحيث شهدت هذه الفترة تحوّل الخطابة إلى بحث عن المحسّنات البلاغيّة والأسلوبية، مع إغفال شبه تام للشّق المتعلّق بالفعاليّة الحجاجيّة الاستدلاليّة. وترجع أهمّ العوامل الأساسيّة التي ساهمت في انتعاش الدّرس الحجاجي في الفكر المعاصر إلى:

- الحياة اليوميّة وما يرتبط بها من تحولات وتطوّرات أدّت في مجملها إلى تعميق صور التفاعل اليومي بين الأفراد والجماعات.

• بالإضافة إلى هذا التحول الذي مس الحياة العملية فإنّ هناك تحولات أخرى شهدتها الحياة الفكرية والمعرفية، وتجسّد ذلك على وجه الخصوص في فرعين علميين أساسيين هما المنطق والدراستات اللغوية.

بالنسبة للمنطق: كان المنطق خاضعا لمنظور رياضي صّرف منذ أن نشر جورج بول كتابه التحليل الرياضي للمنطق، وودي مورغان كتابه المنطق الصوري. فالمنطق من هذا المنظور كان ميدانا لتطبيق مبادئ الحساب الرياضي، بحيث تنصب المعالجة على القضايا بعدها رموزا ترتبط بعلاقات يمكن أن تحسب.

ظلت هذه النزعة الرياضيّة للمنطق ومن خلاله لمختلف فروع المعرفة مهيمنة إلى أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. بعدها شهد هذا المسار الصوري للمنطق انقلابا كان مصدره الرياضيات ذاتها بحيث ظهر ما أطلق عليه " أزمة الأسس "، فبدأ الدارسون يتساءلون عن أساس اليقين الرياضي. لقد كان لهذه الأزمة تأثيرا مباشرا في الدرس المنطقي، وتمثّل ذلك في المراجعة الشاملة للمفهوم الكلاسيكي للمنطق المتوراث عن أرسطو.

بالنسبة للغة: لقد جرّ هذا النقد للعقلانية الرياضية الصوريّة تواجها المنطقيّة بموازاة الحديث عن اللغة الطبيعيّة في مقابل اللغة الصوريّة، فعلى إثر هذا اللقاء الذي حصل بين الدرس المنطقي والدرس اللغوي مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ستصير اللغة مع فرجيه موضوعا أساسيا للدراسة المنطقيّة بعدما كان المنطق يعدّ مجرد تقنية للاستدلال السليم¹.

من هذا نخلص إلى أنّ الفصل بين المنطق والرياضيات وسّع مدلول المنطق، وخفف من سمته الصوريّة التي لا طالما كانت لصيقة بالدراستات المنطقيّة، ما يسمح ب بروز البحث في أنماط استدلالية أخرى على رأسها الاستدلال الحجاجي الذي تمثّل اللغة الطبيعيّة أدواته وأرضيته في نفس الوقت، بحيث حظيت هذه الأخيرة باهتمام بالغ خلال النصف الثاني من القرن العشرين، ما استوجب إلقاء الضوء على الطرائق التّدلّلية التي تتركز على اللغة، خاصة التّدلّيلات الحجاجية منها ما أدّى إلى ظهور توجّهات حجاجيّة متعدّدة منها ما ارتبط بالدراستات اللغوية اللسانية ومنها ما ارتبط بالمنطق والفلسفة.

سنحاول في مقالنا هذا التركيز على الاتجاه الثاني – المنطق والفلسفة – والتي كانت بداياته على يد اللغويين شيام برلمان Chaim Perelman وأولبيريش تيتيكا Olberchts Tyteca من خلال كتابهما مصنّف في الحجاج (1958).

بحيث يهدف هذا الكتاب إلى إخراج الحجاج من دائرة الخطابة والجدل، الذي بقي لفترات طويلة مرادفا للمنطق نفسه. فقد عملا على تخليص الحجاج من الخطابة التي التصقت بها تهمة المغالطة والتلاعب بعواطف وعقول الآخرين، وكذا تخليصه من صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب به يقع في ضرورة وخضوع واستلاب. فالحجاج عندهما معقوليّة وحرية وهو حوار من أجل حصول وفاق بين الأطراف المتحاورّة، ومن أجل حصول التسليم برأي آخر بعيد عن الاعتباطية واللامعقوليّة الذين يطبعان الخطابة عادة، وبعيدا عن الالتزام والاضطرار الذين يطبعان الجدل². من هذا يتبين أنّ الحجاج يقع في منطقة وسطى بين الخطابة والاستدلال.

1.1. مفهوم الحجاج عند برلمان وتيتيكا: Argumentation

يعرّف اللغويان موضوع نظرية الحجاج بقولها: " الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو تزيد من درجة ذلك التسليم"³. وتعريفهما يتوافق مع ما جاء في معجم تحليل الخطاب لباتريتك شارودو Charaudeau و دومينيك منغنو D.Maingueneau "فموضوع النظرية الحجاجيّة عندهما هو دراسة الفنيّات الخطابية التي تمكّن من الحصول على موافقة العقول على الأطروحات التي تعرض عليها أو عدم موافقتها"⁴.

والغاية من الحجاج في نظرهما " أن يجعل العقول تدعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وُفق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السّامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه، أو هو ما وُفق على الأقل في جعل السّامعين مهئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة"⁵.

فالحجاج -كما يريانه - ليس بمفهوم الخطابة القديمة التي تسعى إلى فرض أفكار وآراء على الخصم دون مجال للعقل من أجل التفكير أو الانتقاد. كما أنّ الغاية من الحجاج هو تحقيق الإذعان وحسبهما أن أنجع حجاج هو الذي وُفق في جعل درجة الإذعان تقوى لدى السّامعين.

2.1. مصطلحات متداخلة مع مصطلح الحجاج:

أ. الخطابة (البلاغة) Rhétorique :

الخطابة " هي العلم النظري والتطبيقي لممارسة الكلام مع الجمهور أمام مستمعين يساورهم الشك، وبحضور معارض يسعى الخطيب إلى فرض تمثلاته وصياغته إلى توجيه فعل"⁶.

والخطابة عند أرسطو " صناعة مدارها إنتاج قول تبني به الإقناع في مجمل المحتمل والمسائل الأخلاقية القابلة للنقاش. بمعنى أنّها علاقة بين طرفين تتأسّس على اللغة والخطاب، يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر في الطرف المقابل جنسا من التأثير يوجه به فعله أو يثبت لديه اعتقادا أو يمليه عنه أو يصنعه له صنعا"⁷.

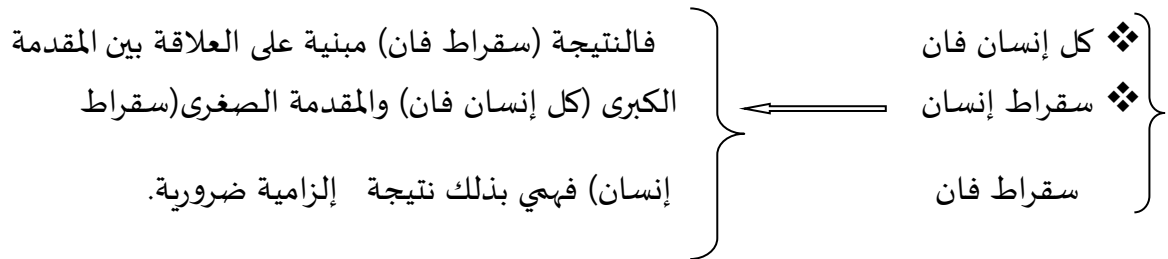
بناء على ما سبق نستنتج أنّ الخطابة علم يدرس الكلام (الخطاب) القائم بين طرفين خطيب/ جمهور والذي مداره تحقيق الإقناع.

ب. الاستدلال: Inférence

" يستعمل هذا المصطلح للإشارة على عملية الاستنتاج في اعتبار قضية صادقة بسبب علاقتها بقضايا أخرى قد اعتبرت بعد صادقة " ⁸.

وفي تعريف آخر "...إنّ الاستدلال هو أن تستنبط من المقدمات نتائج تفضي إليها المقدمات ضرورة بدون أي لبس " ⁹.

نستنتج من هذين التعريفين أن الاستدلال هو استنتاج حكمة تفضي إليه المقدمات بحكم العلاقات التي تربطها إلى نتائج إلزامية. وهذا ما عُرف عند المناطقة ومن أمثلة ذلك:



ج. الجدال: Dialectique

" حُدّ الجدال من قبل أرسطو أنّه نمط من التفاعل خاضع لقواعد يقابل بين الطرفين، المجيب الذي عليه أن يدافع عن تقرير معيّن والسائل الذي عليه أن يهاجمه " ¹⁰.

وبهذا يكون الجدال موقفا تفاعلياً يجمع بين سائل ومجيب يسعى كلّ طرف منهما إلى إقناع الآخر. " إنّ الحجاج أوسع من الجدال فكلّ جدل حجاج وليس كلّ حجاج جدل، فالقاسم المشترك بين الجدال والخطابة من حيث أنّ الجدال والخطابة قوتان لإنتاج الحجج " ¹¹.

د. البرهان: Démonstration

المقابل الأجنبي لمصطلح البرهان هو Démonstration، وهو الأشهر والمستحسن عند العامة إلا أنّه يوجد من يفضل مقابله بمصطلح Argumentation ¹².

يقول طه عبد الرحمان: " يطلق على الحجّة أسماء أخرى مثل الدليل والاستدلال وحتى البرهان، لكن هذا على الإطلاق من باب التجود والتوسّع " ¹³.

ويعرّف البرهان في وضع آخر فيقول: " البرهان والاستدلال الذي يُعنى بترتيب صور العبارات بعضها ببعض لصرف النّظر عن مضامينها واستعمالاتها وهو شبيه بالحجّة المجردة " ¹⁴. ويختص البرهان بالميزات الآتية: ¹⁵

د.1. التواطؤ: تكون الألفاظ التي يستعملها صاحب البرهان عادة خالية من الاشتراك والإجمال والخفاء، ومن أجل ضمان وحدانية المعنى للفظ الواحد بخلاف الحجاج الذي يتضمنها قصد إحداث الالتباس.

د.2. القطعية: ينبنى البرهان على اليقين بعيدا كل البعد عن التردد والاحتمال لكونه يستند إلى مقدمات صادقة في أصلها مبنية بنفسها، بينما تعتمد الخطابة والجدل والحجاج على مقدمات ضمنية.

د.3. الصورية: وهي ردّ البرهان إلى جملة من الصيغ والتراكيب وتستغني عن اعتبار المضمون الدلالي للألفاظ والعبارات، وبالمقابل نجد أنّ الحجاج أكثر ليونة لكن هذا لا يعني أنّ الحجاج لا يتقيد ببنى صورية تحكمه.

د.4. الاستقلال: البرهان لا يتعلّق بالمجال الذي يستعمل فيه وإن كان هذا المجال هو الأصل في النهوض به.

يرى عبد الله صولة أنّه لا أهميّة من التصنيف الذي جعل من الدّراسة الحجاجيّة إمّا برهانا - ضرب أنت لا تبرح فيه حدود المنطق - إمّا مجال أوسع يهتم بدراسة مجمل التقنيّات البيانيّة الباعثة على إدعاء السامع أو القارئ¹⁶.

وحسبه أنّ الحجاج ربط إمّا بالجدل خاصة عند القدماء وبعض المحدثين العرب، وأمّا الخطابة خاصة عند اليونان. وأنّ البرهان وأن كان ضربا من الحجاج إلّا أنّه ذو حدود معيّنة لا يرقى إلى مصاف الحجاج خاصة بعد ظهور مفهوم أعمق وأدق من الجدل والخطابة في العصر الحديث.

3.1. المقدمات الحجاجية، مفهومها، اختيارها :

1.3.1. مفهوم المقدمات الحجاجية:

يقوم الخطاب على مجموعة من المعطيات يواجه بها المتكلّم المخاطب لإيقاع التصديق، وتسمّى هذه المعطيات مقدمات **Des prémisses** وتعرّف على أنّها " مقدمات متعلّقة بالقضايا التي منها يكون الانطلاق Propositions de départ فهي نقطة انطلاق الاستدلال "¹⁷.

وبهذا تكون المقدمات عبارة عن معطيات تؤخذ على أنّها مسلّمات يقبل بها الجمهور المستمع، وتكون بذلك هي نقطة الانطلاق أو البداية في الحجاج.

2.3.1. اختيار المقدمات الحجاجية :

يعدّ اختيار المقدمات الحجاجيّة وكذا طرق صوغها وترتيبها قيمة حجاجيّة في حدّ ذاته. فالخطيب باستعماله لمقدمات تنكون منطلقا لحججه إنّما يعوّل على تسليم الجمهور المستمع بها، فهي بذلك نقطة الانطلاق كما سبق وأن أشرنا. زمن ضروب هذه المقدمات ما يلي:

أ. الوقائع: **Les faites**

" وتمثّل ما هو مشترك بين عدّة أشخاص أو بين جميع النّاس "18.

إنّ الوقائع لا تقبل التنفيذ أو الشكّ فهي بمثابة مسلّمات يشترك فيها مجموعة من الأشخاص وهي تنقسم إلى نوعين مفترضة ومعاينة.

ب. الحقائق: Les vérités

وهي أنظمة أكثر تعقيدا من الوقائع وقد يعتمد الخطيب إلى الرّبط بين الوقائع والحقائق من حيث هي موضوعات متفق عليها ليُحدث موافقة الجمهور على واقعة معيّنة غير معلومة¹⁹.

ج. الافتراضات: Les présomptions

شأنها شأن الوقائع والحقائق تحظى بالموافقة العامّة l'accord universel، ولكن التّسليم بها يحتاج إلى عناصر أخرى تقوّمها وتحدّد هذه الأخيرة – الافتراضات – بالقياس العادي أو المحتمل وهذا العادي Le normal والمحمّل Le vraisemblable يتغيّر بتغيير الحالات²⁰.

د. القيم: Les valeurs

الحجاج بكلّ ضروبه مداره على القيم وهي إن خلت منها الاستدلالات ذات البعد العلمي والعلوم الشكليّة فإنّها تمثّل بالنّسبة إلى مجالات القانون والسياسة والفلسفة غذاء أساسيا، فهي التي يعوّل عليها في جعل السّامع يذعن لما يُطرح عليه من آراء وهي نوعان قيم مجردة من قبيل العدل والحق، وقيم محسوسة من قبيل الوطن²¹.

و. الهرميات: Les hiérarchies

تتعلق الهرميّات بالقيم، هذه الأخيرة ليست مطلقة وإنّما خاضعة لهرميته، فالجمال درجات، والنافع درجات... والهرمية نوعان: مجرّدة نحو: العدل أفضل من النافع، وهرمية محسوسة نحو: الإنسان أعلى مرتبة من الحيوان²².

هـ. المواضع (المعاني): Les lieux

إنّ الخطيب يعتمد إلى استعمال القيم وهرميّاتها للرفع من درجة إذعان الجمهور، بالإضافة إلى أنّه يستخدم مقدمات أعمّ منها وتسمّى المعاني، ومنها اشتقت كلمة Topiques وهي المصنّفات المجعولة للاستدلال الجدلي²³.

وتنقسم المواضع المشتركة إلى مواضع مشتركة أو مبتدلة Lieux communs يمكن تطبيقها على علوم مختلفة، ومواضع خاصة Lieux spécifique تكون وفقا على علم بعينه.

إنّ المواضع من الطرائق التي يستخدمها الخطيب طلبا للتصديق وهي أنواع²⁴:

• مواضع الكم: *Lieux de quantité*

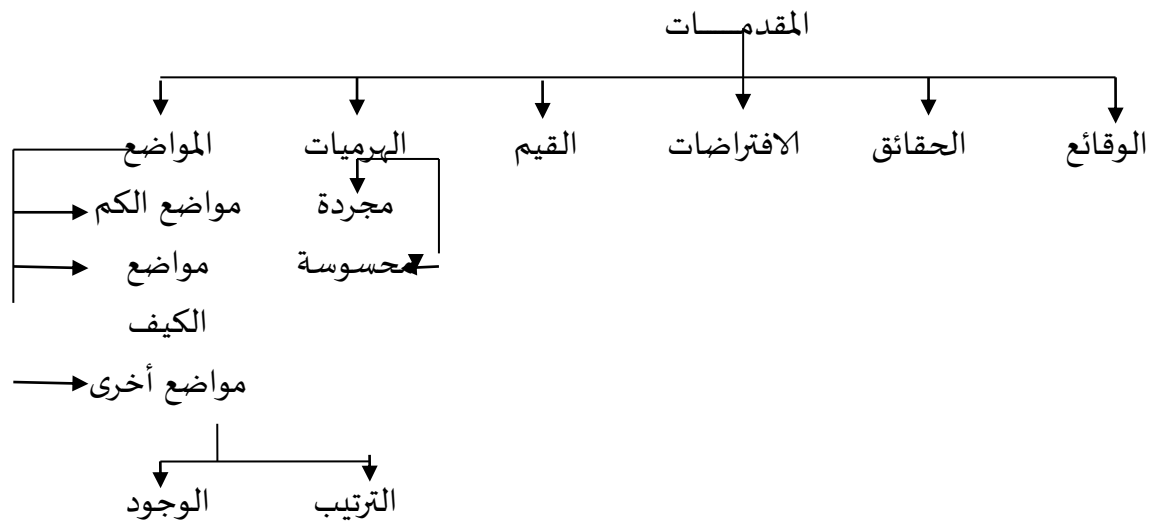
وهي التي تثبت أنّ شيئا أفضل من شيء آخر لأسباب كمية.

• مواضع الكيف: *Lieux de qualité*

وهي ضدّ الكم من حيث إنّها نسيج وحدها، فهي واحدة ضدّ جمع، وتستمدّ قوّتها من وحدانيتها تلك.

وهناك مواضع أخرى نحو: مواضع الترتيب *Lieux de d'ordre* ، ومواضع الوجود *Lieux d'existant*.

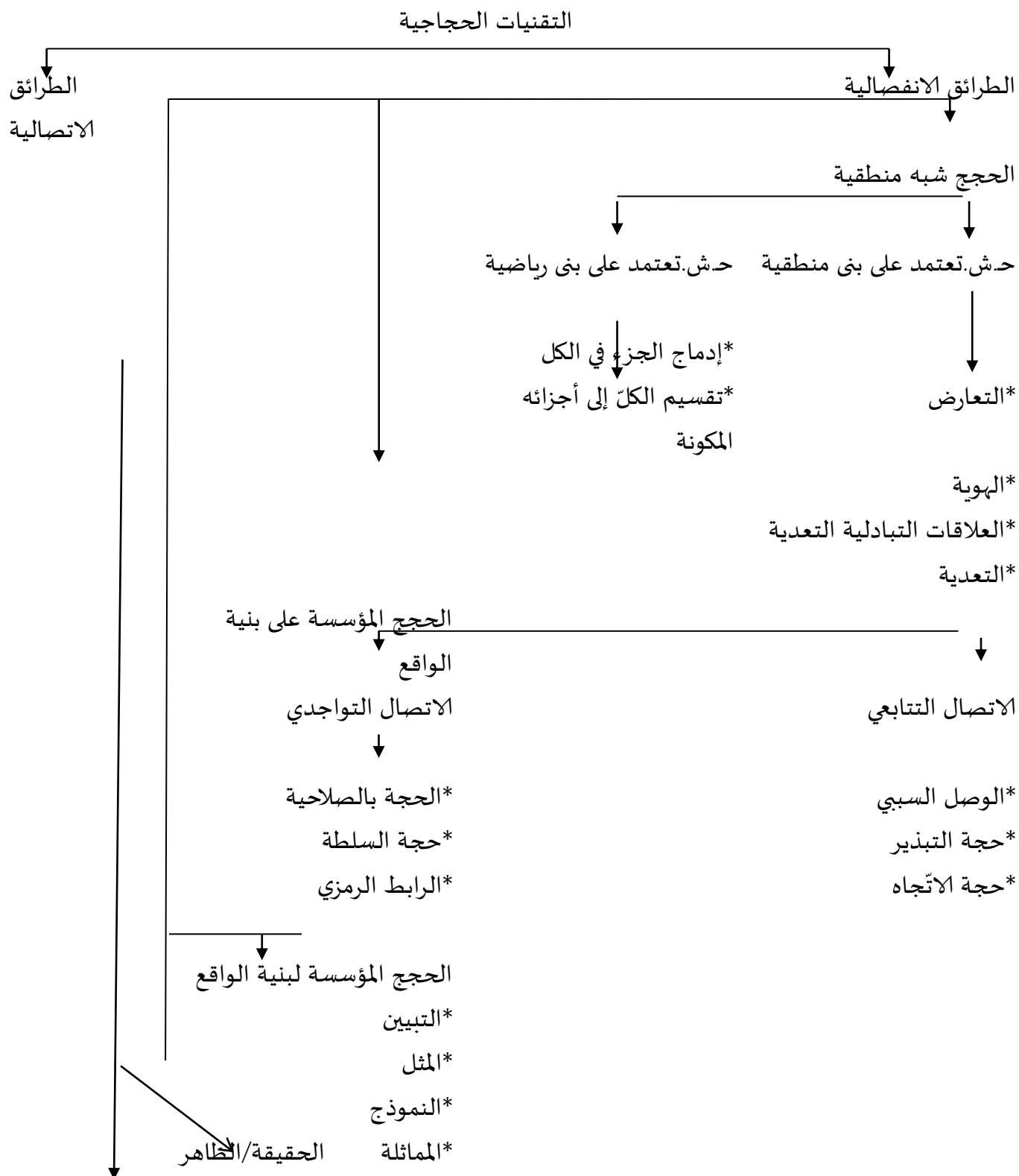
تمثّل هذه المقدمات على تعدّد ضرورها منطلقا للمحاجة، وتعتمد على الحسّ المشترك *Le sens commun* لدى مجموعة لسانية معيّنة، فهو جماع معتقداتها ومناطق موافقتها، بل مناطق موافقة كلّ عاقل وتسمّى في هذه الحالة – المحاجة – المحاجة الموجّهة عامة، كما توجد إلى جانب هذه الموافقات العامة أنواع أخرى موجّهة لأهل الاختصاص²⁵.



(مخطط يلخص أنواع المقدمات الحجاجية عند برلمان وتيتيكا)

2. التقنيات الحجاجية: *Les technique argumentatives*

قبل البدء في عرض التقنيات الحجاجية وفق تصور (برلمان وتيتيكا) من خلال مصنّفهما في الحجاج نوّد في البداية تقديم ملخص لها حتّى يتأتّى للباحث تتبع هذه القضية وتشعباتها، وخاصة التعالقات الموجودة بينها، وهو ما نوضحه بالمخطط الآتي:



(مخطط بلخص التقنيات الحجاجية عند برلمان وتيتيكا)

إنّ الأشكال الحجاجيّة Les schèmes argumentatifs التي يمكن عدّها مواضع حجاجيّة على نوعين:

أ. الطرائق الاتصالية: Procédés de liaison

" هي الطرائق التي تقرب بين العناصر المتباينة بدءاً وفي الأصل، وتتيح إقامة ضرب من التضامن بينها لغاية هيكلتها، أي إبرازها في هيكل أو بنية واضحة أو لغاية تقويم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقويماً إيجابياً أو سلبياً " ²⁶. ولقد ميّز المؤلفان بين أربع تقنيات للحجاج وهي:

أ.1. الحجج شبه منطقية: Les arguments quasi logiques

تقوم هذه الحجج على القوّة الإقناعية، وهي تتشابه في ذلك مع الطوائف الشكلية والمنطقية والرياضية في البرهنة، وتختلف عنها في كونها غير ملزمة، في حين أنّ الاستدلال المنطقي ملزم قطعياً، ذلك أنّه ينتج في عملية تبسيط غير ممكنة إلاّ في ظروف محدّدة داخل نظام معزول ومحدّد، وتشتمل الحجج شبه منطقية على أنواع هي ²⁷:

• التعارض والتنافر: Contradiction et incompatibilité

والمقصود بالتناقض وجود قضيتين في نطاق مشكلتين إحداها نفي للأخرى.

مثل: الرياح تعصف ولا تعصف، في حين أنّ التنافر - عدم الاتفاق - يكون بين ملفوظين وذلك بإسقاطهما على الواقع ليتمّ ترجيح إحدى القضيتين وإقصاء الأخرى ²⁸.

• الهوية والتعريف: Identité et définition

التعريف هو تعبير عن التماثل بين المعرّف والمعرّف، وليس المعرّف تمام المعرّف على الحقيقة.

مثل: المرأة امرأة، أو الأم تبقى دائماً أم، فهو بذلك تحصيل حاصل لا تجده فيه معنى المعرّف وهو امرأة أو أم نفسه معنى المعرّف وهو المرأة والأم ²⁹.

• قاعدة العدل والتبادلية: Argumentation de réciprocité

تقول قاعدة العدل إنّ الكائنات المنتمية لصنف واحد يجب أن يتمّ معاملتها بطريقة واحدة، ويُمثّل لهذه القاعدة بذلك المتشرّد الذي لا يفهم كيف يكون التسوّل جنحة في مجتمع يجعل الصدقة فضيلة ³⁰.

• التعدية والاشتمال: Transitivité

التعددية خاصيّة شكلية تنتج لنا إثبات العلاقة الموجودة بين أ و ب من ناحية، وبين ب و ج من ناحية أخرى، ومن ثمّ العلاقة بين أ و ج، وأنواع العلاقات التي تجدها في خاصيّة التعددية، هي علاقات التساوي égalité والتفوق supériorité والتضمين inclusion³¹.

• المقارنة: comparaison

يقول برلمان: "...عن المقارنة إنّها حجة شبه منطقية عندما لا ينتج عنها فكرة أو قياس فعليّ، ولكن عندما يكون تأثير الإقناعي متشكلاً من الفكرة الضمنية التي تستطيع عند اللزوم دعم حكمها من خلال عملية تحكم"³².

أ.2. الحجج القائمة على بنية الواقع: Arguments basées sur la structure du réel

تستخدم الحجج القائمة على بنية الواقع الحجج للربط بين أحكام مسلم بها لدى السامع، وبين أحكام يسعى الخطاب أن يجعلها مسلم بها، وذلك بإيجاد صيغة تجعل كلاً من الأحكام المسلم بها والغير مسلم بها في كلّ يجمع بينها، حيث أنّنا لا يمكننا التسليم بالأخرى ومن هنا وصفت بكونها حاجيّة اتّصالية³³.

وقد صنّف برلمان الحجج القائمة على بنية الواقع إلى صنفين، وذلك بحسب الرّابط الذي يربط بين الحكمين³⁴:

• روابط التتابع:

ويكون بين ظاهرة ما وبين مسبباتها أو نتائجها وهو بدوره يتفرع إلى أنواع:

1. رابط سببي: Le lien causal يسمح لنا ببناء حجة مستمدة إلى تعاضد في بنية الواقع ونمثّل ذلك بالقول: "إنّ هذه الدائرة الاستخباراتية جيّدة لأنّ الجيش الذي ينتمي إليه قد انتصر في جميع المعارك"³⁵.

2. حجة التبذير (الإسراف): L'argument du gaspillage

وهي تقوم على الاتصال والتتابع ويمثّل لها برلمان "بما أنّنا شرعنا في هذا العمل وضحينا في سبيله بما لو أعرضنا عن تمامه لكان مضيعة للمال والجهد فإنّه علينا أو نواصل إنجازه، وهذا التبرير ممّا يقدّمه صاحب بنك عادة لزيونه الذي أفلس عسى أن تستقيم حاله وينجح في مشروعه"³⁶.

3. الحجج التوجيهية: L'argument de direction

وتظهر في التحذير من مغبة إتباع سياسة التنازل كقولنا: " إذا تنازلت هذه المرة وجب عليك أن تتنازل أكثر في المرة القادمة، ولا ندري أين ستقف بك سياسة التنازل هذه ³⁷ .

أو التحذير من مغبة انتشار ظاهرة ما يسمى حجة العدوى مثل: الذي تعيش أخاك تغداك.

• الاتصال التوايدي: La liaisons de coexistence

ويكون بين شخص وبين أعمال أي بين الجوهر وتجلياته، ومثال ذلك يقال عن الطفل ما إنّه عظيم باعتبار أن أباه فلان ³⁸ .

وفي الوقت الذي نجد فيه الرابط يختصّ بالحقائق ذات الطبيعة الواحدة بالحقائق ذات الطبيعة الواحدة والموجودة على نفس المستوى نجد أنّ روابط التواجد تحتوي على رابط يربط بين حقائق تنتمي لمستويات غير متساوية مثل العلاقة بين الشخص أو أفعاله أو أحكامه أو أعماله ³⁹ . ونجد ضمن هذه الروابط عدّة حجج:

1. الحجج السلطة: Argument d'autorité

حجة السلطة أهمّ حجة تغدوها هيبة المتكلم ونفوذه وسطوته أو أحكامهم حجة على صحة أطروحة ما. وتتباين السلطة وتتعدّد فتكون تارة الإجماع أو الرأي أو العلماء أو الفلاسفة أو الأنبياء، وقد تكون هذه السلطة غير شخصية مثل: الفيزياء أو العقيدة أو الدين أو الكتاب المقدّس، وتارة تكون بذكر أشخاص معينين على أن تكون سلطة هؤلاء الأشخاص معترفاً بها عند السامعين، وعادة لا تأتي بهذه الحجّة إلاّ مدعمة وتالية لحجج أخرى وربما نمهد لها لقبولها لدى السامع قبل الاحتجاج بها ⁴⁰ .

2. الرابط الرّمزي:

ويقوم بالانتقال من الرمز إلى ما يرمز إليه كالانتقال من العلم إلى الوطن، ومن الرئيس إلى الدولة ومن المصحف إلى الله، فيما تثيره هذه الأشياء المادية من عواطف وأحاسيس ترجع إلى ما يرمز إليه من علاقة مشاركة أو تبرير.

إنّ العلاقة بين الرّمز وما يرمز إليه هي علاقة مشاركة وحسب برلمان هي علاقة تبرير بخلاف العلاقة الاعتبائية وما تشير إليه. ولا يكون هذا النوع من الحجج ذات تأثير إلاّ في من يقرّ ويؤمن بوجود العلاقة الرابطة بين الرّمز وما يرمز إليه، إذن هو خاص بقوم ما وثقافة ما، ولا يصلح لمخاطبة جمهور عام وهو يؤكّد بعد اللاعقلاني ⁴¹ .

أ.3. الحجج المؤسسة لبنية الواقع: Les arguments qui fondent la structure du réel

قام برلمان بتحليل نوع من الحجج يتم فيه خلق الروابط وتشكيلها التي – تؤسس لبنية الواقع- كالمثل والمثالة، ويختلف هذا النوع من الحجج عن سابقه في كونه يقدم رابط غير مباشر بين عناصر الواقع، أي أنّ الرابط غير موجود مسبقا في الواقع، وبهذا وجب على المتكلم أو الخطيب إنتاجه وتأسيسه وتقديمه في علاقة ملائمة⁴².

ويفرق برلمان في هذا النوع من الحجج بين نوعين من الروابط، الأولى الحالات الخاصة وتشتمل على ثلاثة أنواع وهي (المثل، والتبيين، والنموذج)، والثانية الاستدلال بالمثالة ونجد فيه ضربين من الحجج (المماثلة والكناية).

أ.3.1. المثل: L'exemple

حسب برلمان يجب أن يكون المثل المستخدم لدعم قضية ما أن يتمثل (في أعين المتلقي) كونه حدث، على الأقل مؤقتا فإذا كان هذا الأخير – المثل – لا يدخل في إطار المتفق عليه بين المتكلم والسامع فإنّ آلية الحجج هنا قد تصبح دون تأثير وكذلك أي دور إلا إذا طرح السامع في ذهنه فكرة " كل ما يطرح ليس له شبيه "⁴³.

أ.3.2. التبيين: L'illustration

الفرق بين المثل والتبيين هو أنّ الأوّل الغاية منه تأسيس قاعدة من خلال الاستقراء أو تهدف إلى إعطائها وجودا في الوعي، والثاني لا يتمّ إلّا عندما يقع قبول القاعدة وذلك لدعم انتظام موجود مسبقا. " إنّ الاستشهاد من شأنه أن يقوي درجة التصديق بقاعدة معلومة وذلك بتقديم حالات خاصة توضح القول ذا الطابع العام وتقوي حضور القول في الذهن، وعلى هذا فإنّ الاستشهاد يؤتي به للتوضيح في حين أنّ المثل يؤتي به للبرهنة ولتأسيس القاعدة. وعلة العموم فإنّ المثل يكون عادة سابقا للقاعدة في حين يكون الاستشهاد لاحقا قصد تقوية حضور الحجة وقصد جعل القاعدة المجردة حسية وملموسة "⁴⁴.

أ.3.3. النموذج:

النموذج هو المثال الذي نقترحه لأنفسنا أو نقترح إتباعه، فعندما يقول الأب لابنه: " عندما كان نابليون في سنك كان الأوّل في صفّه " فإنّ الأب يقدم لابنه قدوة كنموذج حتى يقتدي به⁴⁵.

أ.3.4. المماثلة:

المماثلة قبل كلّ شيء تأسيس علاقة بين ما يراد الدفاع عنه الموضوع وبين عنصر يجري البحث عنه في موقع آخر من المواقع هو المثل، والدّي يكون مقبولا سلفا لدى المتلقي⁴⁶.

أ.3.5. الكناية:

الكناية عند برلمان هي حجة، وذلك أنّها امتداد للمثالة والتي هي تكثيف لها بفضل الاندماج بين الموضوع والمثيل. والمثال الذي يضربه برلمان - عبارة أرسطو - " مساء الحياة "

حيث: أ. التقدم في السن / ب. الحياة / ج. المساء / د. اليوم.

فالمثالة المكثفة هنا هي التقدم في السن أ بالنسبة للحياة ب مثل المساء ج لليوم د هنا تختفي المحاور ب و ج .⁴⁷

ب. الطرائق الانفصالية: La dissociation des notions

" والمقصود بها التقنيات المستخدمة لغرض إحداث القطيعة وإفساد اللحمة الموجودة بين عناصر تشكل عادة كلاً لا يتجزأ أو على الأقل كلاً متضامنة أجزاؤه في نطاق نظام فكري واحد، فوق هذه الطوائف يحدث فصل داخل المفهوم الواحد بملاحظة انعدام الانسجام بين العناصر المكونة له، ويحمل أعراضه على جوهره ومحاكمة ظاهرة son apparence في ضوء حقيقته sa réalité"⁴⁸.

لقد حاولنا في مقالنا هذا عرض قضية الحجاج الخطابي/ البلاغي وفق تصور (برلمان وتيتكا) من خلال مصنفهما في البلاغة الجديدة بعدّه الكتاب الذي أسس لهذا الاتجاه الجديد.

والملاحظ أنّ الباحثين حاولوا أن يتلمسوا الطرق التي يمكن أن يتبعها المتكلم في بناء خطاب حجاجي، وكذا الأبعاد الحجاجية الممكنة التي من شأنها أن تبني قيمة حجاجية من خلال مكونات/ عناصر التخاطب (المتكلم، المتلقي، العلاقة بينهما، ... إلخ) دون التركيز في بحثهما على القيم الحجاجية الكامنة في بنية الخطاب، وهي المسألة التي التفت إليها البحث التداولي عموماً والحجاجي خصوصاً منذ سبعينيات القرن الماضي.

هوامش البحث:

¹. ينظر، الراضي رشيد، الحجاجيات اللسانية عند انسكومبر وديكرو، عالم الفكر، ع1، م 34، سبتمبر، 2005، ص 20_21.

². ينظر، عبد الله صولة، الحجاج/ أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج/ ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إ. حمّادي صمود، ص298.

³ Chaim Perelman et Olbrechts Tyteca, La nouvelle rhétorique, traité de l'argumentation, presses universitaires de France, 108, Boulevard saint- Germain, Paris, 1958 , p5.

- ⁴ . باتريك شارودو، ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، تح عبد القادر المهري، وحمّادي صمود، دار سيناترا، تونس، 2008، ص 68.
- ⁵ . عبد الله صولة، الحجاج/ أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج، ص 269.
- ⁶ . ينظر، المرجع السابق، ص 490.
- ⁷ . عبد الله صولة، الحجاج/ أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج، ص 12.
- ⁸ . باتريك شارودو، ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ص 300.
- ⁹ . المرجع السابق، ص 300.
- ¹⁰ . باتريك شارودو، ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ص 169.
- ¹¹ . عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، تونس، ط 1، 2001، ص 9.
- ¹² . يقول عبد القادر بوزيدة: " وقد ترددت كثيرا في استعمال المصطلح الأخير الحجاج لأنّه يحيل على الحاجة ويوحي بأنّ هناك طرفين حاضرين يتنازعان الرأي، وليس هذا المقصود من مصطلح Argumentation بل أنّ المتكلم الحاضر واحد أغلب الأحيان يسعى إلى إقناع مخاطر متخيل بموقف أو فكرة والأثير عليه ". وفي نفس السياق يقول الحواس مسعودي: " اعتمادنا الحجاج (مصدر حجة) مقابلا لفرنسية الكلمة Argumentation، بينما خصصنا كلمة برهان Démonstration. مجلة اللغة والأدب، ع 12، جامعة الجزائر 2، 1998، ص 326-352.
- ¹³ . طه عبد الرحمان، اللسان والميزان/ التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 1998، ص 13-138.
- ¹⁴ . المرجع نفسه، ص 138.
- ¹⁵ . المرجع نفسه، ص 318.
- ¹⁶ . عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 13.
- ¹⁷ . عبد الله صولة، الحجاج/ أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج، ص 308.
- ¹⁸ . عبد الله صولة، في نظريا الحجاج دراسات وتطبيقات، دار الجنوب، ط 1، تونس، 2011، ص 29.
- ¹⁹ . المرجع نفسه، ص 29.
- ²⁰ . المرجع نفسه، ص 24-29.
- ²¹ . المرجع نفسه، ص 29.
- ²² . المرجع نفسه، ص 29.

- ²³. المرجع نفسه، ص 29.
- ²⁴. المرجع نفسه، ص 29.
- ²⁵. المرجع نفسه، ص 30.
- ²⁶. المرجع نفسه، ص 41.
- ²⁷. ينظر، المرجع نفسه، ص 41.
- ²⁸. ينظر، فليب بوتيه وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ت محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، ط1، 2011، ص 47.
- ²⁹. ينظر، المرجع نفسه، ص 47.
- ³⁰. ينظر، المرجع نفسه، ص 48.
- ³¹. ينظر، المرجع نفسه، ص 48.
- ³². ينظر، المرجع نفسه، ص 49.
- ³³. عبد الله صولة، الحجاج / أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، ص 331.
- ³⁴. ينظر، فليب بوتيه وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ص 50.
- ³⁵. ينظر، المرجع السابق، ص 332.
- ³⁶. ينظر، فليب بوتيه وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ص 50.
- ³⁷. عبد الله صولة، الحجاج / أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، ص 332.
- ³⁸. ينظر، المرجع نفسه، ص 333.
- ³⁹. ينظر، المرجع نفسه، ص 333.
- ⁴⁰. ينظر، المرجع نفسه، ص 335.
- ⁴¹. ينظر، المرجع نفسه، ص 336.
- ⁴². ينظر، المرجع نفسه، ص 336.
- ⁴³. ينظر، المرجع نفسه، ص 336.
- ⁴⁴. ينظر، المرجع نفسه، ص 55.
- ⁴⁵. ينظر، المرجع نفسه، ص 55.

⁴⁶. ينظر، فليب بوتيه وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ص 55.

⁴⁷. ينظر، المرجع نفسه، ص 56-57.

⁴⁸. عبد الله صولة، الحجاج/ أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، ص 342-343.